

الامامة والسياسة

[220] فقالا: وفقك اﷺ وخار لك. ثم انصرفا عنها، فلما أعلماه بقولها تمثل وقال: فإن يك صدر هذا اليوم ولى * فإن غدا لناظره قريب وتحدث الناس بالذي كان من طلاق عبد اﷺ أمراته قبل أن يفرغ من طلبته، وقبل أن يوجب له الذي كان من بغيته، ولم يشكوا في غدر معاوية إياه. فاستحث عبد اﷺ بن سلام أبا هريرة وأبا الدرداء، وسألهما الفراغ من أمره، فأتياها. فقالا لها: قد أتيناك لما أنت صانعة في أمرك، وإن تستخيري اﷺ يخر لك فيما تختارين فإنه يهدي من استهداه، ويعطي من اجتداه، وهو أقدر القادرين. قالت: الحمد اﷺ أرجو أن يكون اﷺ قد خار لي، فإنه لا يكل إلى غيره من توكل عليه، وقد استبرأت أمره، وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسي، مع اختلاف من استشرته فيه، فمنهم الناهي عنه، ومنهم الآمر به، واختلافهم أول ما كرهت من اﷺ. فعلم عبد اﷺ أنه خدع، فהלح ساعة واشتد عليه الهم. ثم انتبه فحمد اﷺ تعالى وأثنى عليه، وقال متعزياً: ليس لامر اﷺ راد، ولا لما لا بد أن يكون منه صاد، أمور في علم اﷺ سبقت، فجرت بها أسبابها، حتى امتلات منها أقرباها، وإن امرؤ انثال له حلمه واجتمع له عقله، واستذله رأيته، ليس بدافع عن نفسه قدرا ولا كيذا، ولا انحرافا عنه ولا جيذا، ولآل ما سروا به واستجدلوا له لا يدوم لهم سروره، ولا يصرف عنهم محذوره. قال: وذاع أمره في الناس وشاع، ونقلوه إلى الامصار، وتحدثوا به في الاسمار، وفي الليل والنهار، وشاع في ذلك قولهم، وعظم لمعاوية عليه لومهم، وقالوا: خدعه معاوية حتى طلق امرأته، وإنما أرادها لابنه، فبئس من استرعاه اﷺ أمر عباده، ومكنه في بلاده، وأشركه في سلطانه، يطلب أمرا بخدعة من جعل اﷺ إليه أمره، ويحيره ويصرعه جرأة على اﷺ. فلما بلغ معاوية ذلك من قول الناس. قال: لعمرى ما خدعته. قال: فلما انقضت أقرأؤها، وجه معاوية أبا الدرداء إلى العراق خاطبا لها على ابنه يزيد، فخرج حتى قدمها، وبها يومئذ الحسين بن عليه وهو سيد أهل العراق فقها ومالا وجودا وبذلا. فقال أبو الدرداء إذ قدم العراق: مما ينبغي لذي الحجا والمعرفة والتقى أن يبدأ به ويؤثره على مهم أمره، لما يلزمه حقه، ويجب عليه حفظه، وهذا ابن بنت رسول اﷺ صلى اﷺ عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة، فلست بناظر في شئ قبل